لغة – كلام

مجلة علمية محكّمة تصدر عن مختبر اللغة والتواصل
بالمركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان / الجزائر

• من أزمة الثقافة إلى سلطة الأزمة في "الجثة- صفر" لفهد ردة الحارثي
سعيد كريمي

•الصورة الكاركاتورية وتاثيرها في المتلقي
طانية حطاب

•القرآن ومظاهر إعجازه في الكتب البلاغية
حمو عبد الكريم

• فاعلية التكرار في رسالة الجد والهزل للجاحظ
(دراسة تحليلية في ضوء لسانيات النص)
مفلاح بن عيد اللّه

ISSN/247. 0746

المنارة للاستشارات

لغة – كلام

مجلة علمية محكّمة تصدر عن مختبر اللغة والتواصل بالمركز الجامعي بغليزان / الجزائر

المدير مسؤول النشر/ رئيس التحرير
د/ مفلاح بن عبد الله

الهيئة الاستشارية

أ.د/ حاتم عبيد	السعودية	أ.د/ أحمد حساني	الإمارات
أ.د/ العربي عميش	الجزائر	أ.د/ لزعر مختار	الجزائر
أ.د/ بريمي عبد الله	المغرب	أ.د/ عبد القادر فيدوح	البحرين
أ.د/ ملياني محمد	الجزائر	أ.د/ عقاق قادة	الجزائر
أ.د/ سعيد كريمي	المغرب	أ.د/ مونسي حبيب	الجزائر

شارك في تحكيم هذا العدد

د/ عزالدين الناجح	السعودية	د/ بن عسلة عبد القادر	الجزائر
د/ حمودي محمد	الجزائر	د/ خاين محمد	الجزائر
د/ دلدار عبد الغفور البالكي	العراق	د/ حمو الحاج ذهبية	الجزائر
د/خليفي سعيد	الجزائر	د/ بن قرماز طاطا	الجزائر
د/حمو عبد الكريم	الجزائر	د/ خالدي سمير	الجزائر
د/مليكة ناعيم	المغرب	أ.د/ العربي عميش	الجزائر

هيئة التحرير

أ/بوغازي حكيم	أ/ بوقفحة محمد

تمت طباعة هذه المجلة بدار أمّ الكتاب:

للنشر و التوزيع

المنارة للاستشارات

فهرس الموضوعات

من أزمة الثقافة إلى سلطة الأزمة في "الجثة- صفر" لفهد ردة الحارثي	سعيد كريمي	05
القرآن ومظاهر إعجازه في الكتب البلاغية	حمو عبد الكريم	21
الصورة الكاريكاتيرية وتأثيرها في المتلقي	طانية حطاب	33
إشكالية تناول النص الفلسفي في التعليم الثانوي	عبد الله بلعباس	43
ثقافة الصورة في رواية هوامش الرحلة الأخيرة لمحمد مفلاح	سمير خالدي	55
البنية التركيبية للجملة الفعلية في ديوان محمد مصطفى الغماري	شريفة حمو	65
الأمّ المعلّقة في شعر المعلّقة (مقاربة موضوعاتية لتيمة الأم في شعر المعلّقات)	كريمة زيتوني	81
الإصلاح والمدرسة الجزائرية (كتب مناهج الجيل الثاني للغة العربية في المرحلة الابتدائية نموذجا)	هواري بن تني	101
نظريات السرد الحديثة (بحث في الاتجاه النسقي)	منصور بويش	115
حجية القياس بين اللغويين والفقهاء	عبد الهادي بلمهل	137
الاقتراض اللّغوي في ضوء التّواصل الحضاري بين العرب والفرس في القرن الثّاني الهجري	لعمري محمد	147
فاعلية التكرار في رسالة الجد والهزل للجاحظ (دراسة تحليلية في ضوء لسانيات النص)	مفلاح بن عبد الله	167

المنارة للاستشارات

كلمة العدد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛

يتشرف مختبر اللغة والتواصل بإصدار العدد الثالث من مجلته (لغة – كلام)، ولقد كان للصدى الطيب الذي تركه العدد الأول أكثر داعم لنا على الاستمرار وإصدار العددين الثني والثالث.

ورغم حداثة مجلتنا إلا أننا نعتقد أنها تخطو على المسار الصحيح؛ فالمجلة وخلال عامها الثاني قامت بإصدار العددين الثاني والثالث، والأهم من ذلك حرصها على العناية بجودة البحوث الذي احتوت عليها، وفتح صفحاتها أمام طلبة الدكتوراه، والفضل في ذلك يعود إلى الهيئة الاستشارية وإلى المحكمين المعتمدين وطنيا ودوليا. وتأمل المجلة في استمرار صدور أعدادها في مواعيدها ـ شهري جوان وديسمبر ـ، كذلك تأمل استمرار تعاون الباحثين معها. ولا يفوتني الإشارة إلى أن المجلة ـ التي تستعد حالياً لاستقبال العدد الرابع منها ـ ما كانت لتصدر لولا تظافر جهود الجميع سواءً أعضاء هيئة تحريرها أم إدارة المختبر. ولذا فإنني باسمي وباسم أعضاء المختبر أتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنشاء المجلة ودعمها إلى حين صدورها واستمرارها .

المدير مسؤول النشر/ رئيس التحرير

د/ مفلاح بن عبد الله

نارة للاستشارات

الأمّ المعلّقة في شعر المعلّقة
مقاربة موضوعاتية لتيمة الأم في شعر المعلّقات

الطالبة كريمة زيتوني
إشراف: الدكتور حمودي محمد
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

تاريخ استلام المقال: 2016/10/06 تاريخ التحكيم: 2016/11/05

الملخّص:

يهدف هذا البحث إلى رصد وتتبّع تيمة/موضوع الأمّ في شعر المعلّقة – المعلّقات- وفق المقاربة الموضوعاتية الّتي تُعنى في الأساس بدراسة موضوع ما في نصّ شعريّ أو مجموعة من النّصوص، لدى شاعر واحد أو مجموعة من الشّعراء.

ومن خلال هذه الدّراسة تبيّن لنا أنّ تيمة المرأة قد تجلّت في شعر المعلّقة في ثلاثة أوجه أو أشكال، كلّها بموضوع واحد هو الأمّ، وهي: أوّلا: الأمّ المرأة في معلّقة كلّ من أمرئ القيس، طرفة بن العبد، لبيد بن ربيعة، طرفة، عمرو بن كلثوم، الحارث بن حلزة، ثانيا: الأمّ القبيلة عند امرئ القيس، طرفة بن العبد، زهير بن أبي سلمى، لبيد بن ربيعة، عمرو بن كلثوم، الحارث بن حلزة، وأخيرا الأمّ الحيوان: كالبقرة الوحشية، والظّبية، والنّاقة عند امرئ القيس، وطرفة، ولبيد، وزهير، وبالتّالي كلّ هذه التيمات لم تظهر إلّا كموضوع فرعيّ في المعلّقة الواحدة، ولكن يمكن اعتبارها تيمة رئيسة من خلال تكرارها وتشكّلها كشبكة علائقية تربط مختلف المعلّقات بموضوع أو خيط واحد وهو تيمة الأمّ.

Résumé:

Cette recherche vise à détecter et suivre thème da la mère dans les poésies,Les Mu'allqâtes selon l'approche thématique, ce qui signifie essentiellement l'étude d'un sujet dans un texte poétiqueou un ensemble des textes du poète ou un groupe de poètes.

Et Grâce à cette étude, il s'est nous éclairé que la mère se manifeste dans les poésies El Mu'allqâtes trois façons (formes); se sont connexes du même thème qui est la mère, ces façons sont: La mère la femme, la mère la tribu, et la mère l'animal. Alors tout ces thème ne manifestait qu'un thème filiale dans le même texte (EL Mu'allqât), Mais on peut le considérer un thème essentiel à travers de sa fréquence et sa formation comme un champ relationnel relie les défirent textes au même thème qui est la mère.

المنارة للاستشارات

تصدير:

الأمّ كلمة صغيرة، حروفها قليلة لكنّها تحتوي على أكبر معاني الحبّ والعطاء والحنان والتّضحية، وهي الّتي تعطي ولا تنتظر المقابل، فهي سبب وجودك في هذه الحياة، ولو رجعنا إلى القرآن الكريم فلم ترد فيه سورة كاملة عن الأمّ، لكن وردت الكثير من الآيات تمجّد الأمّ وتوصي بها، خاصة في قوله عزّ وجلّ: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِير"[1]فالقرآن الكريم أعطى للأمّ كلّ القيمة والتّقدير، ولاسيما حينما ذكر اللّه في الكثير من الآيات الكريمة أنّ الجنّة تحت أقدام الأمّهات، والفوز بها يكون بالبرّ بالوالدين معا والأمّ الّتي جعل طاعتها وطاعة الوالد مقرونة بطاعته.

وهذا الاحترام والتّقدير والمكانة العالية للأمّ نجده أيضا في الأحاديث النّبويّة الشّريفة المتعدّدة، أهمّها: ما رواه أبو هريرة رضي اللّه عنه عن الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم فقال: "جاء رجل إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فقال: من أحقّ النّاس بحسن صحابتي؟ قال: أمّك، قال ثمّ من؟ قال: ثمّ أمّك، قال: ثمّ من؟ قال: ثمّ أمّك، قال: ثمّ من؟ قال: ثمّ أبوك،"[2] تقديم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم للأمّ على الأب راجع إلى كونها أكثر الوالدين لتحمّل أعباء الأبناء، ولعلّ هذا ما جعل الكثير يردّد عبارة مفادها أنّ: يتيم الأمّ فعلا يتيم، أمّا يتيم الأب فليس كذلك لأنّ الأمّ تعوّضه عن أبيه بتحمّلها كلّ واجبات الأب على أبنائه إضافة إلى واجباتها.

أمّا في المعجم الوسيط: "الأمّ أصل الشيء (للحيوان والنّبات)، والأمّ الوالدة، وتطلق على الجدّة، يقال: حواء أمّ البشر، والجمع أمّات وأمّهات، ويقال: هو من أمّهات الخير من أصوله ومعادنه، والأمّ: الشّيء يتبعه ما يليه، ويقولون في الذّم والسّبّ لا أمّ لك، وقد تكون للمدح والتّعجب. وأمّ القرآن: فاتحته، وأمّ النجوم المجرة."[3] وهي أيضا "المسمّى البيولوجي والاجتماعي للوالدة الأنثى، الأمّ المنجبة."[4]

ومن هنا نجد للأمّ عدّة معاني خاصّة في كونها الأصل، كما هناك أنواع أخرى لها، فقد تكون الأمّ الّتي تحمل الجنين في أحشائها، فيتغذى من كلّ ما يمكنها أن تنفعه به، وقد تكون الأمّ البديلة أو المربية، وهي من تتولّى العناية به بعد ولادته سواء كان ابن أحشائها أو لا.

وبالتّالي الأمّ موجودة منذ أن خُلِق الأب، واحترامها وتقديرها واجب على كلّ ابن، ولا يمكن أن يكون هناك ابن من دون أمّ، وإذا كانت الأمّ هي الأصل لكلّ شيء فينبغي تسمية كلّ شيء بأمّه، فقد تكون الأمّ الوالدة، والأمّ المرضعة، والأمّ المربيّة، وقد تكون كلّ من يحنو على الفرد ويضمّه إليه، وقد تكون كلّ من يجد فيه الفرد الحبّ والرّعاية والعطف والحنان، ليس فقط

المنارة للاستشارات

عند البشر وإنّما عند سائر الكائنات الحيّة، ومثلما رأينا أنّ القرآن الكريم في مختلف سوره وآياته قد مجّدها وأعطاها المكانة العظيمة.

فالأمّ لم تكن بوجود بيولوجي في الوجود كغيرها من الموجودات وحسب بل كان لها أيضا تصوير فني جمالي في مختلف سور القرآن الكريم والأحاديث النّبوية الشّريفة، ولو رجعنا قليلا بالزّمن إلى ما قبل الإسلام نجد أنّ الأدباء في فنّهم الإبداعي الشّعري على وجه الخصوص قد تغنّوا بها، وأعطوها ولو الجزء القليل من نصوصهم، خاصة تلك النصوص الشّعرية الّتي طبعت أو ميّزت الشّعر الجاهلي أكثر، وهي المعلّقات الّتي سنأتي إليها فيما يلي:

1- شعر المعلّقة:

وقبل الولوج إلى هذه التيمة ينبغي الإشارة إلى ما نقصد به من شعر المعلّقة – المعلّقات- وهي:أجود ما وصل إلينا من الشّعر الجاهليّ،وهي "عبارة عن قصائد طويلة برزت فيها خصائص الشّعر الجاهليّ بوضوح كامل. تسمّى أيضا المذهّبات، أو السّموط أي العقود."[5]

وقد اختلف الدّارسون في سبب تسميتها بالمعلّقات: "فزعم بعضهم ومنهم ابن عبد ربّه وابن رشيق وابن خلدون، أنّ العرب لشدّة إعجابهم بها كتبوها في القباطي (ثياب بيض رقاق من كتّان) بماء الذّهب وعلّقوها على الكعبة فلذلك سميت المذهّبات، هذه هي المشهورات، وقيل: بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشّاعر يقول: علّقوا هذه لتكون في خزانته. ويرجّح اليوم أنّها إنّما سميت المعلّقات لتشبيها بالسّموط الّتي تعلّق بالأعناق، وقد دعيت المذهّبات لأنّها تستحقّ أن تكتب بماء الذّهب لنفاستها."[6]و كلّ قصيدة من هذه المعلّقات نسبت إلى شاعر واحد ولم يعرف شاعر واحد بمعلّقتين أو أكثر، أي أنّ هذه القصائد الطّوال - الّتي يزيد في بعضها عدد الأبيات عن مائة بيت – لم تكن مجموعة قصائد لشاعر واحد وإنّما هي عشر معلّقات لعشرة شعراء مختلفين، هم: معلّقة امرؤ القيس، معلّقة زهير بن أبي سلمى، معلّقة عمرو بن كلثوم، معلّقة طرفة بن العبد، معلّقة عنترة بن شدّاد، معلّقة الحارث بن حلزة، معلّقة النّابغة الذّبياني، معلّقة الأعشى، معلّقة عبيد بن الأبرص.

وأولى الدّارسون والباحثون العناية الكثيرة لهذه القصائد الطّوال بشرحها من قبل "الكثير من القدامى والمعاصرين، منهم: الزّوزني، التّبريزي، أبو فراس النّعساني، وأحمد الشّنقيطي، والشّيخ مصطفى الغلاييني."[7]

كما ترجمت هذه القصائد وشروحاتها إلى اللّغات الأجنبية على لسان مختلف المستشرقين من الألمان والرّوس والفرنسيين والإنجليز، من بينهم: المستشرق الألماني فاجنر إوالد(Wagner

المنارة للاستشارات

Ewald)قائلا عنها: "إنّ بعض الأشعار الأولى كانت تحمل نفس سمات القصائد الطّويلة المسمّاة بالمعلّقات."[8]فهو يجعل من المعلّقات نماذج شعرية تقاس بها قصائد أخرى، في دراسته: ملاحظات على الشّعر العربي القديم في الجزء الخاص بالشّعر الجاهليّ.

وهكذا "ترجم ريتر (Ritter Geheimnisse) للنّابغة، وعنترة العبسي الّذي كتب عنه توربكه (H Thorbcke) والنّاقد الفرنسي بلاشير (Blacheir) أمّا زهير بن أبي سلمى فقد ترجمت قصائده إلى الألمانية على يد ريشر (O Rescher) أمّا امرؤ القيس فقد سمّي الشّاعر الملك وترجم له الكثير من بينهم فردريك ريكرت (F Ruchert).[9]"

ومن خصائص هذه المعلّقات: تعدّد الموضوعات الّتي طرقتها كالمرأة والنّاقة والرّحلة...أمّا الغزل والوصف، الفخر، المدح، الحكمة، الهجاء....فهي أغراض شعرية تختلف عن الموضوعات، والاختلاف بينهما حدّدته الموضوعاتية، بأنّ الغرض شيء والموضوع شيء آخر، وسنوضّح ذلك فيما يلي.

2- بين الموضوع والموضوعاتية:

الموضوعاتية رؤية منهجية في دراسة النّصوص، وهي إجراء منهجي ارتبط بحركة النّقد الجديد في فرنسا تحديدا، ونسب في غالب الأحيان إلى رائده الأوّل جون بيير ريشار(-Jean Pierre Richard)، وهي بذلك كما يقول جورج بولي (George Poulet) على أنّ "موضوعاتية أيّ نص ليست هي الصّورة المعزولة بل مجموع الموضوعات والبنى الّتي يجمعها الوعي الذّاتيّ، ويضمن لها هويّة معيّنة، كيفما كان توزّعها والاختلافات الّتي تعصف بها."[10] وتحدّد الموضوعاتية أساسا من خلال دراسة آليات اشتغال تيمة مركزية أو فكرة مهيمنة داخل النّص الأدبي، وتعمل عبر تناسلها وتمفصلاتها في تيمات فرعية، أي أنّ المنهج الموضوعاتي يعنى بدراسة وتتبّع الموضوعات في عمل أدبيّ واحد أو في مجموعة من النّصوص، عند أديب واحد أو عند مجموعة من الأدباء ينتمون إلى عصر واحد أو في فترات مختلفة.

ويتحدّد الموضوع في النّقد الموضوعاتي على شكل "شبكة من الدّلالات أو عنصر دلالي متكرّر لدى كاتب ما في عمل ما."[11] كما أنّ الموضوع: "وحدة من وحدات المعنى، هو وحدة حسّية علائقية، يتوسّع بطريقة شبكية أو خيطية، من خلال تلك القرابة السّريّة في ذلك التّطابق الخفيّ، والّذي يراد الكشف عنه تحت أستار عديدة."[12]

والموضوع يختلف عن الغرض، لأنّ "الغرض عنصر غير أدبيّ لكنّ مادته هي الأدب، أمّا الموضوع فهو يجسّد الغرض ويميّزه محقّقا بذاك أدبيّته، لأنّ الموضوع لا يحقّق وجوده إلّا انطلاقا من

المنارة للاستشارات

اللّحظة الّتي يعبّر الغرض فيها عن نفسه من خلال عمل أدبيّ. والغرض منبع تصدر عنه مجموعة مفتوحة من الموضوعات،"[13] أي أنّ الموضوع يتأخّر عن الغرض ويكون نتيجة له، كما يمكن للغرض الواحد أن يشمل مجموعة من الموضوعات، والتّمييز بين الغرض والموضوع كان من بين اهتمامات المقاربة الموضوعاتية، وإذا رجعنا إلى شعر المعلّقة العربي نجده متميّزا بالوحدة الموضوعية الّتي نعت بها كثيرا، أي وحدة البيت، بحيث يكون لكلّ بيت موضوعه الخاصّ به، وهذا يشير إلى غنى القصيدة المطوّلة الجاهلية بمختلف الموضوعات وتعدّدها، هذه الموضوعات الّتي وقف عليها الكثير من الدّارسين، إمّا بالشّرح المعجمي، أومن خلال الاطّلاع والبحث في تيماتها المتنوّعة وفق ما يسمّى بالمقاربة الموضوعاتية، كتيمة النّاقة، المرأة، الأطلال، اللّيل، البقر الوحش، الحرب....وغيرها من الموضوعات.

غير أنّ موضوع/ تيمة الأمّ على حسب اطّلاعنا كان من ضمن الموضوعات المغيّبة من قبل القراءات الموضوعاتية لشعر المعلّقات، ومن هنا جاء هذا البحث محاولة منا لرصد هذه التيمة والكشف عن تمظهراتها في شعر المعلّقة وفق المقاربة الموضوعاتية.

3- تيمة الأمّ في شعر المعلّقة:

أ- الأمّ المرأة:

وبدء بامرئ القيس فرغم أنّه يصنف كأوّل شاعر من ضمن شعراء المعلّقات غير أنّه لم يأت بالذّكر الكثير للأمّ المرأة في معلّقته، ولا باحترامها ومراعاة أمومتها، ويظهر ذلك في نظرته إلى زوجة أبيه الّتي هي بمقام أمّه نظرة الحبيب العاشق، يقول:

أَغَــرَّكِ مِنِّي أَنّ حُبَّكِ قَاتِلِي وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ

وبهذا يقول عنه بطرس البستاني: "وحبّه لامرأة أبيه مشهور وقيل إنّ والده طرده من أجل ذلك."[14] وليس هذا وحسب بل يخبرها بمختلف مغامراته الغرامية حتّى مع الحوامل والمرضعات اللّواتي كان يصبو إليهن دون مراعاة كونهنّ أمّهات، ويقول:

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمِ مُحْوَلِ

وكلّهنّ يقع لهنّ نفس ما يقع للواحدة منهنّ، فبصدد حديثه عن حبيبتيه أمّ الحويرث وأمّ الرّباب فهو "يصف ما لها ما وقع له معها، من فراق لمن يحبّ ويصاحب"[15]، يقول أيضا:

كَــدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَـأْسَلِ

المنارة للاستشارات

مغامرات امرئ القيس مع مختلف النّساء ليست بالأمر الخفي في معلّقته الّذي كُتب عنه الكثير، لكنّ موقفه من المرأة الأمّ لم يكن مختلفا عن مختلف النّساء اللّواتي تعرّض لهنّ في حياته أو بشعره، فلم يصوّر أمّه في معلّقته، ولم يراع مقام الأمّ المرضعة أو الحامل أو غيرهما، لأنّ ما طغى على نفسه ومشاعره هو المرأة بمفاتنها ومحاسنها مهما كان وضعها، وهذا ما لا نجده عن غيره من المعلّقاتين.

أمّا طرفة فكان له موقف مختلف تمّاما عن امرئ القيس، وهذا لما وقع له في حادثة أمّه مع أعمامه، حيث "نشأ يتيم الأب في بيت غنيّ، فانصرف إلى اللّهو والخمر والنّساء، فضيّقوا عليه أعمامه، وجاروا على أمّه وردة أخت المتلمّس الشّاعر، فظلموها حقّها، فهدّدهم طرفة بهذه الأبيات، وهي من أوائل نظمه."[16]

مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةَ فِيكُم صَغْرُ الْبَنُونَ، وَرَهطُ وَرْدَةَ غُيَّبُ

قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ صَغِيرُهُ حَـتَّى تَظَلَّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّبُ

ويقول أيضا:

عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي نَشَدْتُ فَلَمْ أُغْفِلْ حَمُولَةَ مَعْبَدِ

سأل "طرفة ابن عمّه مالكا أن يعينه في طلب الإبل بعد ضلالها، فلامه مالك وقال له: فرّطت فيها ثمّ أقبلت تتعب نفسك في طلبها، ولكن يغلب على الظّن أنّ هذه الإبل كانت عند أعمامه من بين الأموال الّتي أخذوها من أمّه بعد موت أبيه حينما كان الأولاد صغارا، فلمّا كبر طرفة شقّ ذلك على نفس."[17] فلولا حبّ المرء لِما يبقى من ذكرى الأمّ لَما سعى طرفة إلى استرجاع إبل أمّه الّتي ورّثتها له ولأخيه معبد، بعدما حاول ابن عمّه مالكا الاستيلاء عليها.

وكذلك لبيد بن ربيعة، ففي فخره بالعطاء ينظر إلى الأمّ نظرة المشفق عليها، حيث أنّه "يدخل الميسر على أسمن الذّبائح وأغلاها، ولا يأخذ ما يغنمه منها لنفسه، ولكن لعاقر (لا تلد) ليس لها من يعولها، ولمطفل (لامرأة لها أطفال) لأنّها تكون أكثر حاجة،"[18] يقول:

أَدْعُو بِهِـنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ بُذِلَتْ لِجِيرَانِ الْجَمِيعِ لِحَامُهَا

فمنظر المرأتين العاقر والمطفل حرّك مشاعر وأحاسيس الشّاعر، وكان مدعاة شفقته، فلم يقف عند تصدّقه وعطائه لهما بل تجاوز ذلك إلى تصويرهما في معلّقته وعناءهما لأنّ كليهما تتحمّل مشقة ومتاعب الحياة سواء أكانت عاقرا أم مطفلا، ثمّ إنّ تسمية الأمّ الّتي لها أطفال

المنارة للاستشارات

بالمطفل قد أضفى جمالية لفظية على البيت، وأدرج لفظا جديدا من الألفاظ الدّالة على الأمّ الأكثر استعمالا وتداولا، وهذا يعزز ثراء اللّغة العربية بالألفاظ الدّالة على المعنى الواحد.

ومن بين شعراء المعلّقات الّذين اهتموا لتيمة الأمّ المرأة أكثر عمرو بن كلثوم، فكان من أسباب نظمه لمعلّقته هو إهانة أمّ عمرو بن هند لأمّه ليلى، وجاء ردّه على هند وابنها عمرو في معلّقته، دفاعا عن أمّه الّتي أُهينت، فكان ضمن فخره القبلي بقبيلته الّتي نشأ فيها ما يقوله في ذوده عن أمّه، فيقول لعمرو بن هند: "هدّدنا كما شئت، وأوعدنا كما شئت، ولكنّي أنصحك بأن تتريّث وتتأنّى قليلا، وفكّر على مهل فلسنا عبيدا أو خدما لأمّك."[19]

تَـهَـدَّدْنَـا وَأَوْعِدْنَا رُوَيْدًا مَـتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مُقْتَوِينَا

ومن البيت 51 إلى غاية البيت 62 أخذ الشّاعر يسرد بعض ما أجمله من الأمجاد المتوارثة، يقول:

وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنَ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينَا

وَرِثْــتُ مُهَلْهِلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْرًا نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَـا

وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلَيْــبٌ فَأَيُّ الْمَجْــدِ قَدْ وَلِـينَا

يظهر جليا من هذه الأبيات أنّ الشّاعر في ردّه على عمرو بن هند يفخر بجديه مهلهل (لأمّه) وزهير (لأبيه) من ناحيتي الأمّ والأب، والمراد بذلك هو أنّه من نسل كرماء عظماء من أصول أمّه وأبيه، فهو ذو حسب أصيل من النّاحيتين، كما يفتخر بنسب آخر لأمّه وهو عمّها كليب الّذي كان من ملوك العرب وعظمائهم، "إنّه وقومه قد تجمّعت فيهم أمجاد العرب ومفاخرها."[20] ولو تتبعنا هذا الفخر عند عمرو نجده قد بدأ بأصوله لأمّه أوّلا ثمّ أبيه، لأنّ أمّه كانت ليلى بنت المهلهل، صاحب حرب البسوس الّتي كانت بين بكر وتغلب. كليب هو أخو المهلهل، وكان ملكا على تغلب، زوجته جليلة أخت جسّاس من قبيلة بكر، جسّاس قاتل كليب بسبب قتله لناقة خالته البسوس، ومنها وقعت حرب البسوس الّتي دامت أربعين سنة.

وبافتخار عمرو بن كلثوم بأمّه وأصوله لهاته الأمّ نجد ردّا لذلك عند الحارث بن حلزة، ففي البيت 60 من معلّقته يقول "ردّا على التّغلبيين المنحازين عن المنذر بن ماء السّماء والد عمرو بن هند، ورفضهم للغزو معه،"[21] يقول:

كَتَكَالِيفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا الْمُنْـ ـذِرُ هَلْ نَحْنُ لِابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ

المنارة للاستشارات

وكأنّ الشّاعر هنا يشير إلى ما صدر عن عمرو بن كلثوم في ردّه على أمّ عمرو بن هند في إهانتها لأمّه. كأنّه يذكّر بما قاله من كونهم ليسوا عبيدا لا لهند ولا لابنها.

ويواصل الحارث فخره في آخر معلّقته بما أنجبته قبيلته، وبنسب هذا الابن الّذي كان يقرب عمرو بن هند الّذي يحمل نفس الاسم، وهو عمرو بن أمّ أناس جدّة هند والدة عمرو بن هند، يقول:

وَوَلَدْنَا عَمْرَو بْنَ أُمِّ أُنــاسٍ مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا الْحِبَــاءُ

فالشّاعر يشير إلى أنّ: "مكانة قومه عالية ونسبهم أصيل شريف، وهم أهل لمصاهرة الملوك والزّواج منهم."[22]

ومن هنا فكلّ من طرفة ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة صوّر الأمّ المرأة في معلّقته بشيء ممّا يكنّه لها من إشفاق عليها، واحترام وتقدير لها والافتخار بها وبذويها سواء على مستوى الأمجاد أو على مستوى القبيلة ككلّ، هذه الأخيرة الّتي كان لها وجه آخر من الأوجه الدّالة على الأمّ وفق ما سنوضّح:

ب- الأمّ: القبيلة:

تعتبر الحضن الثاني بعد الأمّ الّذي ينشأ فيه الشّاعر ويترعرع، ويتلقى فيه كلّ القيم والمبادئ الّتي تمليها هي بدورها على هذا الشّاعر كفرد من أفرادها، وبما ينعكس عليه هو الآخر إمّا بالالتزام بها وبكلّ ما توصيه به، أو بهجرانها كذلك الولد العاق الّذي يأبى الامتثال لما يحدّ من حريّته حتّى ولو كانت أمّه الحقيقيّة.

وفي مطلع شعراء المعلّقات نجد هذه التيمة قد صوّرت عند إمرؤ القيس بأسلوب رائع تستوقف القارئ وتجعله يتمعّن أكثر لفهمها، ففي رحلته للصّيد يورد لنا وصفا غريبا للقطيع وهي تمشي في البيتين 59 و60، يقول:

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَــهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيْلِ

فَأَدْبَرْنَ كَالْجَزْعِ الْمُفَصَّلِ بَيْنَهُ بِجِيدِ مُــعَمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخْوَلِ

ومعنى البيتين هو أنّه "لمّا رآنا القطيع ولّى هاربا، فكان بألوانه البيضاء والسّوداء كقلادة ثمينة فصل بين خرزاتها باللّؤلؤ في عنق طفل كريم الأصل من ناحية الأب ومن ناحية الأمّ،"[23] وكأنّ هذا الطّفل الّذي يشير إليه في هذا التّشبيه، هو ابن القبيلة والعشيرة الّذي يكون ذا قيمة

المنارة للاستشارات

وسط عشيرته بالدّلال والعناية، وربّما هذا ما لم يكن عند امرئ القيس، الّذي عاش مطاردا من أبيه.

أمّا طرفة فجور أعمامه لم يمنعه "من الإسراف واللّهو فظلّ ينفق من ماله على أصحابه وخلّانه حتّى لم يبق له شيء، فسخطت عليه عشيرته وابتعدت عنه، فأصبح معزولا كالبعير الجرب"[24] وإلى ذلك يشير في معلّقته:

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَذَّتِي وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي، طَرِيفِي وَمُتْلَدِي

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّد

ويظهر هنا أنّ كلّ هذا ساء طرفة فتركهم، فالحزن العميق بسبب أمّه الثّانية الّتي أبعدته عن صدرها كذلك الولد العاق الّذي يخالف أمّه فتغضب عليه، وكأنّ الأمر هنا راجع كلّه إلى الأمّ وتربيتها للابن، فكان من الّذين نفرتهم أمّهم القبيلة: فالتجأ إلى أمّ أخرى هي الأرض بما رحبت مع إخوانه من بني الغبراء، يقول:

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّدِ

رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لَا يُنْكِرُونَنِي وَلَا أَهْلُ هَذَاكَ الطِّرَافِ الْمُمَدَّدِ

فهنا إشارة بعدما نفرته القبيلة الأمّ وجد ملجأ آخر مع إخوانه من بني غبراء، الصّعاليك الّذين التصقوا بأمّهم الأرض بسبب الفقر الشّديد، "إذا ابتعدت عنه العشيرة لإسرافه فإنّه مازال محطّ أنظار وموضع أمل للجميع، لأنّه في درجة اجتماعية عالية."[25]وأمّه الأخرى هي الأرض بما رحبت، وإخوان آخرون غير إخوته لأمّه وهم الصّعاليك.

ورغم أنّ طرفة كان يحزنه خروجه عن قبيلته إلّا أنّه في هذا البيت الّذي سنأتي على ذكره له موقف آخر إذ يقول:

وَالظُّلْمُ فَرَّقَ بَيْنَ حَيِّ وَائِلٍ بَكْـرٌ تُسَاقِيهَا الْمَنَايَا تَغْلِب

فهو في هذا البيت يدافع عن أمّه الّتي سلب حقّها وفي الوقت نفسه يذكّر ويتباهى بالأمّ الأكبر وهي القبيلة تغلب (تغلّبها على بكر في حرب البسوس)، ولعلّ هذا تلميح منه إلى الشوق والحنين إلى أمّه الّتي أبعد عنها.

المنارة للاستشارات

كما نلفي لبيد بن ربيعة هو الآخر من المدافعين والحامين لإخوانه من القبيلة، فهو "يتحمّل واجب الدّفاع والحماية لقومه، فيحمل سلاحه على فرسه الّتي تكون في المقدّمة، وهو دائما يجعل لجامها وشاحا له ليكون في متناول يده عند الفزع،"[26] وهذا في قوله:

وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتِي فُرُطٌ وِشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا

وليس هذا وحسب بل هناك ما هو أكثر من ذلك، لبيد يكنّ حبّا كبيرا لعشيرته الأمّ، فمن البيت 75 من المعلّقة إلى غاية البيت 87 الأخير يفتخر أيما افتخار بعشيرته، بالحديث عن آبائه وأجداده، والتّغنّي بأمجادهم، يقول:

وَهُمُ السُّعَاةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أُفْظِعَتْ وَهُمْ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُـهَا

وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبَطِّئَ حَاسِدٌ أَوْ أَنْ يَلُومَ مَعَ الْعِدَى لُوَّامُهَا

فهؤلاء الأجداد الّذين يستحقّون التّمجيد هم من يتولون أمور العشيرة خاصة الخطيرة، وهم العشيرة المثلى، فيحقّ للمرء أن يفخر بهم، فالشّاعر "يفخر بقومه وعشيرته، بأنّهم ملاذ الضّعفاء، أجواد أسخياء، أبطال شجعان وكرام، أخلاقهم حميدة، لا يشفي الحاقد غلّته منهم، ولا يجد اللّائم سبيلا إليهم."[27]

وإن كان لبيد يظهر بهذه الحماسة لقبيلته فإنّ عمرو بن كلثوم يكون قد فاقه في ذلك، فهو معروف بنزعته القبلية، أكثر الشّعراء افتخارا بقبيلته وتغنّيه بحبّه لها، وأغلب أبيات معلّقته جاءت في فخره القبلي بقومه، وتمجيده لهم، فمن البيت 18 إلى غاية البيت 50 كلّها تكلّم فيها بصيغة الجمع المتكلّم "نحن" الّذي يعود عليه وأبناء قبيلته تغلب الّتي تحقّق الانتصارات دائما، فيقول:

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَانْظِرْنَا نُخْبِرْكَ الْيَقِينَا

بِأَنَّ نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

فَهَلْ حُدِّثْتَ فِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ بِنَقْصٍ فِي خُطُوبِ الْأَوَّلِينَا

وَرِثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدُّ نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا

ففي هذه الجزئية من فخره القبلي يتحدّث "عن قوّتهم وبأسهم، إنّهم كاملو العدّة والسّلاح، ولا أحد يجرؤ على الحديث بما يمسّ شرفهم وكرامتهم منذ الأجداد القدامى، لأنّهم من أصل نبيل، وإنّ أمجادهم متوارثة ستظلّ خالدة، متواصلة على تعاقب الأجيال،"[28] ثمّ ما هو

المنارة للاستشارات

معروف عن القبيلة وتقاليدها هو افتخارها أيضا بالشّاعر الّذي ينبغ فيها، وعمرو بن كلثوم كذلك، إذ احتضنته قبيلته ومجّدته وافتخرت به هي بالمثيل، لأنّه كان يحمل لقب شاعر القبيلة.

وفي المقابل يردّ الحارث بن حلزة في معلّقته الّتي أنشدها على مسامع عمرو بن هند كان هو الآخر مفتخرا كثيرا بقبيلته (بكر) ردّا على التّغلبيين فمن البيت 32 من المعلّقة إلى غاية البيت 39، ومن البيت 66 إلى آخر بيت في المعلّقة كانت كلّها في تمجيد قومه، وأبناء قبيلته، منها قوله:

هَـلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا سُ غِوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عُوَّاءُ

"أي أنّ قبيلتهم بكر بن وائل كانت تغير على القبائل، وأغارت على تميم وأخذت منهم أسرى وسبايا."[29] أي أنّ قبيلته كان لها أبطالها الشّجعان وأمجادها، واستعمل أيضا صيغة الجمع المتكلم بألسنة أبناء قبيلته: رفعنا، ملكنا، فينا...

غير أنّ موقف الحارث اتّجاه معاهدة الصّلح الّتي أبرمها عمرو بن هند كان مخالفا، بحيث "كان له ولقومه في احترام هذه المعاهدة والتّذكير بها،"[30] كذلك الأخ الّذي يعظه أخوه، ويذكّره دائما بكلام أمّه الّتي تحاول الجمع بين أبنائها المتخاصمين فيقول لبني تغلب:

وَاذْكُرُوا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَا قُـ ـدِّمَ فِيهِ العُهُودُ والْكُفَلاءُ.

على أنّ الحارث بن حلزة هو الآخر يحمل لقب شاعر القبيلة الّتي تغنّى بها في معلّقته، قبيلته بكر الّتي نشأ بها، فهو بمثابة ابنها المصون يحمل مشاعر المحبة لها ولإخوانه الأفراد فيها، يدافع عنها بشعره وسيفه.

ونلاحظ ممّا سبق أنّ كلّا من لبيد وعمرو بن كلثوم، والحارث وحتّى طرفة له نزعة الغيرة على قبيلته الأمّ الّتي يبغي كلّ الخير لها لا لغيرها.

أمّا زهير بن أبي سلمى كان دائما يتمتّع بروح طيّبة تبغي الخير والسّلام لجميع المخلوقات، وإلى جميع القبائل والأمم، حتّى أمّته الّتي كان يعيش بها، فقد وقف في جزء من معلّقته في مدح السّاعين إلى السّلام بين القبائل للعشيرة الواحدة، وهما: هرم بن سنان والحارث بن عوف، فالعشيرة كانت بمثل الأمّ الّتي يختصم أبناءها من أجل شيء ما فتنتشر بينهم العدّاوة، وقد تفرّقهم، وإذا تحقّق السّلام بين هذه القبائل سينعم أبناؤها بالأمن والاستقرار تحت أجنحتها، وليكون لهم هم أيضا دورا في الدّفاع ونيل رضاها، يقول زهير:

المنارة للاستشارات

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَ مَا تَبَزَّلَ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بالــدَّمِ

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَ مَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ

فسلوك العقوق يكون من الابن لوالديه فهو كذلك للقبائل والأفراد للعشيرة. فهنا شبّه الشّاعر أفراد القبيلة بالأولاد والعشيرة بالأمّ ووجه الشّبه بين القبيلة والابن هو صفة العقوق بالنّسبة للولد العاق الذّي لا يطيع والديه، وهذا لأنّ العشيرة هي الأمّ الثّانية للفرد الّذي يعيش بها.

ويواصل الشّاعر بأنّ "موقفه هذا يستدعي حديثا مع الفريقين المتحاربين لكي يتمسّكوا باتّفاقيّة الصّلح، ويلتزموا بها بصدق وإخلاص، فينعموا بالأخوّة والمحبّة والسّلام، في كنف العشيرة الأمّ."[31] يقول:

أَلَا أَبْلِغِ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلَّ مَقْسَمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

فهذه رسالة لا يوصي بها إلّا الأخ لإخوانه، من أجل سلام وطمأنينة أمّه، حيث كانت القوم في القبيلة مثل أفراد الأسرة الواحدة تحكمهم أمّ واحدة وهي القبيلة، وبالتّالي من لا يعود بخيره على قومه وغيرهم يهمل وينسى ويحتقر، وإذا حرم منه قومه وعشيرته كان إهماله أقسى، واحتقاره أشد وأنكد، وحياته سيّئة للغاية."[32]

ويذكّرهم بأهمية دفء القبيلة أيضا فيقول:

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسِبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَمْ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَا يُكَرَّمِ

"فالإنسان قويّ بأهله وقومه ووطنه، والغريب كثيرا ما يقع في أخطاء ومشاكل ومتاعب بسبب جهله بالظّروف الّتي وجد فيها، فالغريب أعمى."[33] كالعود قويّ بحزمته ضعيف إذا انفرد.

ومقارنة بالأمّ المرأة يبدو أنّ القبيلة الأمّ كانت أكثر تأثيرا على أغلب شعراء المعلّقات حتّى أكثروا من ذكرها في معلّقاتهم. لأنّ الأمّ المرأة حتّى هي فرد من أفراد القبيلة، وقد يأتي الاعتزاز بها ضمن الاعتزاز والفخر بالقبيلة في مختلف قصائدهم المطوّلة الّتي تزخر بمختلف الموضوعات، حتّى تصوير الحيوانات خاصة ونحن نعلم أنّ الشّاعر الجاهلي ابن البيئة الصّحراوية وابن الطبيعة بما فيها من موجودات ولاسيما الحيوانات الّتي كانت مصدر عيشه ووسيلة نقله

المنارة للاستشارات

ورفيقه الّذي يقاسمه همّه، وموضوعات مصوّرة في شعره باختلافها وأنواعها، بما في ذلك الأمّ الحيوان الّتي سنقف عليها في العنصر الموالي:

ج- الأمّ الحيوان:

الأمّ الأخرى الّتي جاء ذكرها في شعر المعلّقة الأمّ الحيوان كالنّاقة والظّبية والبقرة الوحشية، وكانت كلّها في تشبيه الشّاعر لعيني حبيبته بعيني النّاقة الأمّ أو الظّبية، البقرة الوحشية، أو بتشبيه سرعة النّاقة في حدّ ذاتها بأنثى النّعام أو البقرة الوحشية، وسنوضّح أكثر فيما يلي:

امرؤ القيس كعادته لا يكون حديثه في الأغلب إلّا عن حبيبته وجمال عينيها، وفي ذلك تشبيهات مختلفة بالأمّ الحيوان، كقوله:

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفَلِ

فهو "يشبّه الحبيبة بغزال مطفل لأنّ الغزال حين تنظر إلى ولدها تكون عينها أوسع وأجمل، وكلّها عطف وحنان. وكلّ هذا يعكسه على وجه حبيبته"[34]، وكأنّ امرأ القيس يجد في نظرات هذه الحبيبة الجمال والسّحر وحتّى العطف والحنان الّذي لم يكن قد رآه أو عاشه مع أمّه .

وعمرو بن كلثوم هو الآخر صوّر " حزنه لفراق حبيبته بأنّه يفوق حزن ناقة فقدت وليدها، وأسى امرأة عجوز تخطّت سنّ اليأس، وفقدت أولادها التّسعة كلّهم."[35]وهذا في قوله:

فَمَا وَجَدْتُ كَوَجْدِي أُمُّ سَقْبٍ أَضَلَّـــتْهُ فَرَجَّعَتِ الْحَنِينَا

وَلَا شَمْطَاءُ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهَا لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَـــنِينَا

أمّا لبيد بن ربيعة فهو يشبه صوت السّحابة "لرعدها رزمة أي صوت كرزمة النّاقة على ولدها وهو حنينها"[36]، يقول:

مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وغَادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيّةٍ مُتَجَاوِبٌ إِرْزَامُـــهَا

فَعَلَا فُرُوعُ الْأَيْهُقَانِ وَأَطْفَلَتْ بِالْجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَنَـــعَامُهَا

وَالْعِينُ سَاكِنَةٌ عَلَى أَطْلَائِهَا عُودًا تَأَجَّلُ بِالْفَضَاءِ بِهَامُهَا

فلبيد في وقوفه على الأطلال يشبه صوت السّحابة الرّزمة بصوت الرّعد بإرزام النّاقة الأمّ على ابنها لتمطرا غيثا نافعا كما تتدفّق الأمّ حنانا على ابنها، ثمّ إنّ المكان بسبب هذه الأمطار طال نبته، وسكنته الظّباء والنّعام، فتكاثرت ذريّاتها، بالعيش في أمان واطمئنان. الأمّ من

المنارة للاستشارات

العين (البقر الوحشيّ) والظّباء والضّأن والنّعام لم تترك المكان فارغا موحشا بل أحيته بالعيش فيه مع صغارها فأضفت عليه الحياة بشكل آخر.

وهو أيضا يشبه النّساء وهن في الهوادج برقتهنّ ورشاقتهنّ وجمالهنّ "بالبقر في سعة العيون، وبالظّباء والأرآم التّي معها أولادها وهي تمدّ أعناقها إلى أولادها وتنصبها، فيظهر جمالها أكثر"[37]، يقول:

زُجُلًا كَأَنَّ نِعَاجَ تُوضِحَ فَوْقَهَا وَظِبَاءَ وَجْرَةَ عُطَّفًا أَزْآمُهَا

وهناك وجه آخر من التّشبيهات، حيث يشبه سرعة ناقته بأمّ وحشية أكل السّبع صغيرها، فيقول:

أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَـةٌ خَذَلَتْ وَهَادِيَة الصِّوَارِ قِوَامُهَا

خَنْسَاءَ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ عُرْضَ الشَّقَائِق طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَـازَعَ شَلْـوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبُ لَا يُمَنُّ طَعَامُـهَا

ففي هذه الأبيات إلى غاية البيت 52 من المعلّقة يشبه "سرعة ناقته بشقاء وتعب البقرة الوحشيّة الأمّ في بحثها عن صغيرها الضّائع منها، وهلعها من صيد الإنسان وانطلاقها في سرعة فائقة، "فسرعة النّاقة كسرعة بقرة وحشية لم تجد ولدها، ولم تعلم أنّ السّباع أكلته عن غفلة منها، فأخذت تجري في جميع الأماكن بحثا عنه، ملتفتة يمينا وشمالا، وصوتها الحزين يتجاوب في الآفاق كأنّما فقدت عقلها، وبعدها فقدت الأمل في إيجاده، فانطوت على نفسها كمدا."[38]هذه هي الأمّ على أبنائها سواء حيوان أو بشر، لأنّها غريزتها فطرت على ذلك.

أمّا الحارث بن حلزة: "فستعين على إزالة الهمّ بناقة تشبه بسرعتها نعامة ذات فراخ صغيرة، أفزعها القنّاص فانطلقت مسرعة، وهي في هذه الحالة تكون أشدّ سرعة في الجري من أجل فراخها لتطمئن عليها وترعاها."[39] فيقول عنها:

بِزَفُوفٍ كَأَنَّهَا هِقْلَةٌ أُ مُّ رِئَالٍ دَوِّيَّةٌ سَقْفَـاءُ

آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا الْقَ نَّاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ

ووصولا إلى زهير بن أبي سلمى الّذي نظر هو الآخر أيضا إلى الأمّ البقر والظّباء وهي تنعم مع صغارها في الأماكن المهجورة، ففي وقوفه على الأطلال الّذي كان مغايرا نوعا ما عن غيره

المنارة للاستشارات

بنظرته التّفاؤليّة والمبتهجة لما تنعم به أمّهات الحيوانات المختلفة الّتي سكنت ديّار الحبيبة، يقول:

بِهَا الْعِينُ والْآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

أي أنّ "منازل الحبيبة قد تخرّبت، وأصبحت مواطن طيّبة للحيوانات، إذ أنّ البقر والظّباء ينمن أولادهن إذا أرضعنهنّ، ثمّ يرعين، فإذا ظنّ أنّ أولادهنّ قد أنفذن ما في أجوافهنّ من اللّبن صوّتنّ بأولادهنّ، فنهضنّ للأصوات ليشربن، كلّ هذا في عيش آمن مطمئن في خصب وهدوء واستقرار."[40] كما أنّه كان هادئا في نظرته إلى الأمّ الحيوان الّتي أضفت على الطّلل حياة أخرى. فشعور الشّاعر نبيل، هو حبّ الخير والأمن والسّلام للإنسان والحيوان وحتّى المكان.

ولطرفة رحلة طويلة، خاصة مع الأمّ الحيوان، ففي وصفه للأطلال وموكب الارتحال والحبيبة من أوّل بيت في المعلّقة إلى غاية البيت العاشر نجده يشبه نظرات الحبيبة بنظرة الظّبية الأمّ إلى صغيرها إذ يقول:

خَذُولٌ تُرَاعِي رَبْرَبًا بِخَمِيلَةٍ تَنَاوَلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي

"الخذول الّتي لم تخرج مع القطيع وأقامت على ولدها، إنّ هذه الظّبية كانت فزعة ولهة على ولدها، وهي منفردة وحيدة، وهي تنظر إلى القطيع في رعاه، فهو يتحدّث عن الظّبية لم تخرج لترعى مع القطيع، لضرورة أوجبت عليها ذلك."[41] فهو من كلّ هذا يشبه نظرة حبيبته بنظرة هذه الظّبية الّتي هي في انشطار بين ابنها والقطيع، ولعلّ هذا فيه إشارة إلى خروج أمّه مع القبيلة وعدم بقائها مع ابنها طرفة بعدما نبذته العشيرة.

وقبل ذلك طرفة في البيت السّادس يشبّه حور عيني حبيبته في الموكب "بالظّبيّ الأحوى يستطيع أن يعتمد على نفسه، لأنّه شادن قادر على الحركة والاستغناء عن أمّه من الظّباء"[42]، فيقول:

وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ

يشبه عيني حبيبته بعيني شادن الّذي يستطيع الاعتماد على نفسه دون أمّه الّتي أنجبته أو حتّى أمّه الّتي نشأ وترعرع في أحضانها وهي القبيلة، إنّها فعلا صورة مركّبة ولها أبعاد كثيرة.

وعند طرفة أمّ أخرى تغنّى بها كثيرا في معلّقته، بعد بعده عن أمّه الّتي أنجبته، والأمّ القبيلة الّتي نفرته، وحتّى الأمّ الحبيبة الّتي رحلت عنه، فلجأ إلى حضن آخر، خصّص له أغلب أبيات

المنارة للاستشارات

معلّقته (من البيت 11 إلى البيت 39) ، وهو النّاقة، فالنّاقة لا تحيل على نفسها بقدر ما تحيل وترمز "للموقف الإنسانيّ الّذي يخشى الموت والفناء ويرغب في الحياة والخلود، إذ للنّاقة رمزيتها الكثيفة الّتي انتهت إلى الجاهليين منذ القدم."[43] وهناك رمزية ودلالة أخرى تشير إليها النّاقة وهي الأمّ، فطرفة التجأ إليها لأنّه وجد فيها الأنيس الّذي لا ينفره، ووجد فيها الصدر الّذي يحنو عليه، فهو من جهة يشبّه عيناها بعيني مذعورة أمّ فرقد، يقول:

طَحُورَانِ عُوَّارَ الْقَذَى فَتَرَاهُمَا كَمَكْحُولَتَيْ مَذْعُورَةٍ أُمِّ فَرْقَدِ

فهو "يشبّه عيني النّاقة بعيني البقرة الوحشية في حال الذّعر يكون نظرها أحدّ وأقوى حينما تنظر إلى ولدها يكون فيها عطف ورقّة وحنان"[44]، وهنا يصوّر ما يراه في ناقة تشبه بقرة الوحشية في ذعرها عن ابنها، وأيّما تأثير يتركه ذلك في نفسه.

غير أنّ طرفة "لا يحافظ على انتصاب النّاقة إلى نهاية القصيدة، وإنّما يهيئ لها نهاية درامية تبدو فيها النّاقة لا حول لها ولا قوّة، أثقلها الحمل، ومع ذلك تنحر، ويخرج حوارها من بطنها يرغو."[45] يقول طرفة:

فَظَلَّ الْإِمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَهَا وَيَسْعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسَرْهَدِ

فهو يعلن عن جوّ المأساة الّذي يلفّ الحياة، وكيف تنقلب الأمور، فقد تنحر هذه النّاقة ويستخرج منها حوارها بكلّ قسوة، فالمشاعر والأحاسيس تتغيّر وفق تغيّر ظروف الحياة فقد تحنو أحيانا وتقصو أحيانا أخرى. فطرفة ينحر النّاقة بنفسه بنوع من القسوة ربّما عكستها عليه ظروف الحياة، فإن كانت هذه الأمّ تخلّت عنه فهو بدوره ينحرها معنويا بتمرّده، ويخرج منها حوارها بعد نحرها لأنّه لن يعتمد عليها بعد ذلك، وهذه القسوة نتيجة تعجرفه وعناده بعد نصح القوم له، والابتعاد عن التّدخّل في شؤونه. ولعلّ هذا فيه إشارة إلى القبيلة الّتي أخرج منها كما استخرج الحوار من بطن أمّه.

وبهذا يكون منظر الأم الحيوان بمختلف تمظهراته ووضعياته مثار انتباه الشّاعر المعلّقاتي، وموضوع إبداع لديه في تصويره الشّعري، بما تمليه صور هذه الأمّ من رقّة وحنان وعطف وليونة، فجاءت في أسلوب مباشر أو على سبيل التّشبيه أو الاستعارة أو غيرها من الأساليب الّتي أضفت جملا على الموضوع وعلى المعلّقة ككلّ.

المنارة للاستشارات

خلاصة:

وبهذا يمكننا القول بأنّ تيمة الأمّ من التيمات العميقة الّتي لم تُقَل في المعاني الظّاهرة، لأنّ "النّصوص المغرقة في الرّمز لا يمكن أن تنفتح إلّا من خلال عمق آخر ينحلّ معه ظلّها إلى ضياء."[46] فالمعنى موجود، ولكنّه ضمنيّ، وعلى النّاقد أن يزحف به إلى الضّوء، بقراءة تتجاوز ما في السّطور، وما بين السّطور.

فالعناصر المبعثرة لهذه التيمة الرّئيسية في مختلف المعلّقات على وضع تيمات فرعية ثانوية تشدّها علاقة مع بعضها البعض إلى موضوع أساسي وهو الأمّ، وهو الّذي أفضي إلى بلوغ التّجانس في هذه الأشعار، والّذي "يتجلّى في رسم مجموعة من العناصر المعروضة للدّراسة كنظام متّسق ذي خصوصية."[47]

وتبدو العلاقة جلية من خلال "اشتمال الموضوع على مجموعة من الظّهورات، وكلّ ظهور يعدّ لباسا للمعنى، فظهورات المعنى تصدي في اتّجاه بعضها، وهذه الأصداء الّتي تثيرها المعاني تلتقي مع بعضها البعض في علاقات عديدة."[48] فالأم واحدة وهي أصل الشيء، وأصل الكائن، وظهرت الأمّ المرأة، والأمّ: النّاقة والبقرة الوحشية والظّبية، والأمّ القبيلة لباسا للمعنى الواحد، وهو الأمّ.

كما أنّه كان هناك تكرار وتواتر لبعض الصور من تيمة الأمّ في مختلف المعلّقات، خاصة تيمة الأمّ النّاقة، والأمّ القبيلة عند أغلب شعراء المعلّقات تقريبا، إضافة إلى الائتلاف والتّشابه في علاقة الأمّ الحيوان بصغارها، والقبيلة بأفرادها والعكس بين الابن والأمّ، إلّا من لم يقع له ذلك، ولعلّ ذلك للظّروف المحيطة بهما، والخارجة عن نطاقهما.

ومن الملاحظ أنّ أغلب أبناء القبيلة عامة، وشعراء المعلّقات خاصّة كان يلقّب باسم أمّه، عمرو بن هند، أو تسمّى الأمّ بابنها مهما كان نوع هذه الأمّ، ومهما كان ابنها، أمّ قطام (جدّة امرئ القيس)، أمّ أناس (جدّة عمرو بن الهند)، أمّ قشعم عند زهير (الموت). أمّ الحويرث، أمّ الرّباب عند امرئ القيس، وكذلك عنترة أُمِّ هَيْثَمِ (يقصد الحبيبة).

وفي المقابل لا تعتبر القبيلة أمّا للشّاعر لنشأته فيها بين أحشائها، ولا باعتبار احتضانها له وتوليها شؤونه وحسب بل كان الفرد المنتسب إلى قبيلة ما يكّنى بابنها، فيقال بني تغلب، بني بكر، بني الطّمّاح (فرعان من إيّاد، قسم كبير في العرب لهم شهرة تاريخيّة في القوّة والأنفة).

ثمّ وإن ظهرت تيمة الأمّ في شعر المعلّقة تيمة فرعية إلّا أنّ تجلياتها العديدة، وتمظهراتها في مختلف التيمات ذات الدّلالة على الأمّ بمعناها الحضن الذي ننشأ فيه، فمن شأنها أن تجعل

المنارة للاستشارات

من هذه التيمة موضوعا أساسيا يربط بخيط قويّ بين مختلف القصائد الطّوال لشعر المعلّقة، لأنّ الشّاعر الجاهليّ وإن كان قد نعت بكثير من الجفاء والقسوة الّتي تكون قد أملتها عليه الظّروف البيئية، إلّا أنّه في الأخير هو إنسان مرهف الحسّ يحزن ويتألم ويحنّ ويشتاق إلى الأمّ بجميع الخطابات الواصفة لها في شعر المعلّقة.

ويعتبر عمرو بن كلثوم من أكثر شعراء المعلّقات تغنيا وافتخارا بأمّه حتّى أنّه قيل إنّ من أسباب نظمه للمعلّقة هو حادثة أمّه مع أمّ عمرو بن هند، كما أنّه كان أكثر شعراء المعلّقات تمجيدا وتباهيا بقبيلته تغلب، الّتي نشأ وتربّى وترعرع في أحضانها، فأغلب أبيات المعلّقة إن لم نقل كلّها جاءت لتصوير ذلك، فترديده لصيغة الجمع المتكلّم بالضّمير "نحن" أو إسناد الفعل إلى هذا الضّمير (ورثنا، نورث، قرينا، عجّلنا...)تبدي ذلك بوضوح، فقد استعمله، ثمّ افتخاره كان بكلّ جزء من هذه القبيلة بأفرادها من أبطال شجعان، وملوك، وأجداد، ونساء، نوق، خيل، وكلّ ما حوته هذه القبيلة، حتّى الصّغار.

وعليه كلّ صور الأمّ من المرأة والحيوان والقبيلة والعشيرة والأرض كان لها تأثير في نفوس شعراء المعلّقات وإلّا لما تعلّقوا بها ووقفوا عندها وأعطوها جزء كبيرا من قصائدهم الّتي أبدعوها، فكانت الموضوع المعلّق في شعرهم المعلّق.

الهوامش:

(1) -الآية 14من سورة لقمان، عبد الرحمن بن أبي بكر السّيّوطي، تفسير المصحف الشريف، قراءة وتعليق: أبو سعيد بلعيد الجزائري، ط: 2010م، دار الإمام مالك للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، ص 411.

(2) -الحديث رواه مسلم

(3) المعجم الوسيط.

(4) -موسوعة ويكيبيديا https://ar.m.wikipedia.org

(5)- فوّاز الشّعار، الأدب العربيّ، ط1: 1999م، دار الجيل، بيروت، ص 27.

(6) -بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية، وصدر الإسلام، ط: 1979م، دار مارون عبود للنّشر، ص 96.

(7)-فوّاز الشّعار، الأدب العربيّ، ص 28.

(8) -حسن يوسف، الشّعر الجاهليّ في دراسات المستشرقين الألمان، ط1: 2013م، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندرية، ص 14.

(9) -ينظر: المرجع نفسه، ص 18، 20.

(10) - سعيد علوش، النّقد الموضوعاتي، ط: 1989م، شركة بابل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ص 72.

(11) -يوسف وغليسي، مناهج النّقد الأدبيّ، ط1: 2007م، جسور للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ص 149

المنارة للاستشارات

(12) -ينظر: عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، النّظرية والتّطبيق، ط1: 1990م، المؤسسة الجامعية للنّشر والتّوزيع، بيروت، ص 38، 39.

(13) -ينظر: محمّد سعيد عبدلي، البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة، (مخطوط) رسالة ماجستير، وهران، ص 27، 28.

(14) -بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية، ص 109.

(15) – علي الجندي، عيون الشّعر العربي القديم، ج1: المعلّقات، ط: 2000م، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ص13.

(16) -طرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص 114، 115.

(17) – علي الجندي، عيون الشّعر العربي القديم، ص 74.

(18) -ينظر: المرجع نفسه، ص 155.

(19)- المرجع نفسه، ص 225، 227.

(20) -المرجع نفسه، ص 229، 231.

(21) -المرجع نفسه، ص 275.)

(22) -المرجع نفسه، ص 287، 291.

(23)- المرجع نفسه، ص 32، 36.

(24) -المرجع نفسه، ص 55.

(25) -المرجع نفسه، ص 66

(26) -المرجع نفسه، ص 151.

(27) -ينظر: المرجع نفسه، ص 162.

(28) -ينظر: المرجع نفسه، ص 225، 228

(29) -المرجع نفسه، ص 266، 267.

(30) -المرجع نفسه، ص 280

(31) -ينظر: المرجع نفسه، ص 103

(32) -ينظر: المرجع نفسه، ص 112، 114

(33) -المرجع نفسه، ص 112، 115.

(34) – المرجع نفسه، ص 25، 26

(35) – المرجع نفسه، ص 210، 214

(36) -المرجع نفسه، ص 123

(37)- المرجع نفسه، ص 127

(38) -المرجع نفسه، ص 145.

(39) -المرجع نفسه، ص 254، 255.

(40) -ينظر: المرجع نفسه، ص 91، 92.

(41) -المرجع نفسه، ص 45.

المنارة للاستشارات

(42) -المرجع نفسه، 45، 47.

(43) -عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهليّ، ص 183

(44)- علي الجندي، عيون الشّعر العربي القديم، ص 56، 58.

(45) – حفصة رواينية، تعدّد الخطابات الواصفة لتيمة النّاقة عند طرفة بن العبد، أعمال الملتقى الوطني الأوّل في التّفكير النّقدي الأدبي العربي بين الأصالة والمعاصرة، ط1: أفريل 2008م، ص 297، 298.

(46)- ينظر: عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، ص 90.

(47) -ينظر: المرجع نفسه، ص 71.

(48) -ينظر: المرجع نفسه، ص 67.

قائمة المصادر والمراجع:

- بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية، وصدر الإسلام، ط: 1979م، دار مارون عبود للنّشر.

- حسن يوسف، الشّعر الجاهليّ في دراسات المستشرقين الألمان، ط1: 2013م، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندرية.

- حفصة رواينية، تعدّد الخطابات الواصفة لتيمة النّاقة عند طرفة بن العبد، أعمال الملتقى الوطني الأوّل في التّفكير النّقدي الأدبي العربي بين الأصالة والمعاصرة، ط1: أفريل 2008م.

- سعيد علوش، النّقد الموضوعاتي، ط: 1989م، شركة بابل للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

- عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، النّظرية والتّطبيق، ط1: 1990م، المؤسسة الجامعية للنّشر والتّوزيع، بيروت.

- علي الجندي، عيون الشّعر العربي القديم، ج1: المعلّقات، ط: 2000م، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة.

- فوّاز الشّعار، الأدب العربيّ، ط1: 1999م، دار الجيل، بيروت.

- محمّد سعيد عبدلي، البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة، (مخطوط) رسالة ماجستير، وهران.

- يوسف وغليسي، مناهج النّقد الأدبيّ، ط1: 2007م، جسور للنّشر والتّوزيع، الجزائر.

المنارة للاستشارات